تأسيس أحمد باشا القرمانلي لحكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب وإرساء دعائمها في بداية القرن الثامن عشر

د. سعاد علي عمرو مسعود، أ. مبروكة أبوعجيلة علي شليق*
كلية الآداب والعلوم – بدر، جامعة الزنتان
كلية الآداب - الجوش، جامعة الزنتان
*الباحث المراسل أ. مبروكة:Mabroka.Shieg@uoz.edu.ly
إيميل الباحث د. سعاد:Suad.amro@uoz.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/8/2م تاريخ القبول 2025/9/3م

Establishment of Ahmed Pasha Karamanli's Rule and the foundation of the Karamanli Dynasty in the Western Tripoli at the Beginning of the Eighteenth Century

Suad Ali Amro Masoud*, Mabrouka Abuokajaylah Ali Shaliq,
College of arts and sciences \ Badr, University of Zintan, Libya
College of arts \ Algush, University of Zintan, Libya

Abstract
This research addresses an important phase in the modern history of Libya, which is the establishment of the Karamanli dynasty's rule in the western Tripoli by Ahmed Karamanli and the consolidation of its foundations. The study begins by providing an overview of the political situation in Tripoli before the Karamanli dynasty's rule. It then discusses the circumstances that led to Ahmed Karamanli's rise to power in Tripoli and his subsequent efforts to solidify his rule by resisting the Ottoman Sultan's attempts to impose control over the country. Ahmed Pasha also sought to obtain an investiture decree (firman) from the Sultan to legitimize his rule.
Furthermore, the research covers the major battles that Ahmed Karamanli fought to suppress rebellions and establish stability. After securing the country, he confidently proceeded to organize its affairs.
Keywords:
(Western Tripoli – Ottoman Empire - Ahmed Al-Qarmanli - The Qarmanli family - Establishment of governance – Consolidating its foundations).

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخص البحث:

تناول البحث مرحلة هامة من تاريخ ليبيا الحديث وهي مرحلة تأسيس أحمد القرمانلي لحكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب وإرساء دعائمها ، وقد بدأنا بإعطاء فكرة عن الأوضاع السياسية في طرابلس قبل حكم الأسرة القرمانلية ، ثم تطرقنا إلى الحديث عن الظروف التي أدت إلى وصول أحمد القرمانلي لحكم طرابلس ، وانتقاله لمرحلة إرساء دعائمه بالتصدي لمحاولات السلطان العثماني لفرض سيطرته على البلاد ، وسعي أحمد باشا لاستخلاص فرمان التولية من السلطان لكي يضفي على حكمه صفة الشرعية ، كما تناول البحث المعارك الكبرى التي خاضها أحمد القرمانلي لإخماد الثورات وفرض الاستقرار ، والتي انطلق بعدها مطمئناً لتنظيم أمور البلاد .

الكلمات المفتاحية :

(طرابلس الغرب _الدولة العثمانية_ أحمد القرمانلي _الأسرة القرمانلية _ تأسيس الحكم _ توطيد دعائمه) .

المقدمة:

مع بداية القرن الثامن عشر فقدت الدولة العثمانية سيطرتها على عدد من الإيالات التابعة لها خاصة الواقعة في الأطراف البعيدة عن مركز حكمها استانبول ، بالخروج عن سلطتها المباشرة وذلك بقيام أسر محلية تولت زمام الحكم في مناطقها ، من بينها الأسرة القرمانلية التي أسسها أحمد القرمانلي في إيالة طرابلس الغرب بداية من عام 1711 وقد استمر حكمها حتى عام 1835 .

استطاع أحمد القرمانلي (1711-1745) أن يؤسس لعهد جديد في بلد عانى من الاضطرابات والصراع المستمر على السلطة ، وبقيام حكم الأسرة القرمانلية أصبحت طرابلس الغرب مستقلة سياسياً وإدارياً عن السلطة المباشرة للدولة العثمانية ، وقد احتفظ القرمانليون بالتبعية الاسمية للسلطان العثماني لإضفاء صفة الشرعية على حكمهم .

ومما لاشك فيه أن مرحلة التأسيس لحكم الأسرة القرمانلية وإرساء دعائمها تعد من أهم مراحل العهد القرمانلي في طرابلس الغرب ، باعتبارها القاعدة الأساسية التي قام عليها ذلك العهد ، كما أن ظهور شخصية أحمد القرمانلي على مسرح الأحداث السياسية في طرابلس كان نتيجة أكثر من متوقعه ، لأنه الشخصية المناسبة التي كانت تحتاجها ظروف تلك الفترة للخروج ، بالبلاد إلى مرحلة الاستقرار، ولا يخفى أن

بداية أي عهد جديد لا تخلو من وجود عقبات استطاع أحمد القرمانلي بقوة شخصيته ودهائه وحنكته أن يتغلب عليها وأن يستغل كل الظروف لصالحه ، ويؤسس دعائم حكم قوي دانت له كل البلاد .

ولأهمية أحداث الفترة رأينا التركيز عليها بدراستها في هذا البحث الذي جاء بعنوان (تأسيس أحمد القرمانلي لحكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب وإرساء دعائمها في بداية القرن الثامن عشر) ونهدف من خلال البحث التوثيق لمرحلة هامة انبثق منها عهد جديد شهدت فيه إيالة طرابلس الغرب أوج عظمتها ، وحظيت ببالغ مظاهر السيادة والاستقلال ، وقد اعتمدنا في بنائه على المنهج التاريخي التحليلي لبلوغ الحقيقة التاريخية .

قسم البحث إلى ثلاثة محاور كالتالي :-

1- المحور الأول : الأوضاع السياسية في إيالة طرابلس الغرب قبل تأسيس حكم الأسرة القرمانلية .

2- المحور الثاني : تأسيس أحمد القرمانلي لحكم الأسرة القرمانلية في طرابلس ويشمل :-

- أصل القرمانليون ومجيئهم إلى طرابلس .
- وصول أحمد القرمانلي إلى الحكم .

3- المحور الثالث : إرساء دعائم الحكم القرمانلي ويشمل :-

- الحصول على اعتراف السلطان العثماني .
- القضاء على الثورات والاضطرابات في البلاد .

وقد اختتم البحث بخاتمة تناولت أهم ما تم التوصل إليه من نتائج ، مع قائمة بالمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في إعداده .

1- المحور الأول :- الأوضاع السياسية في إيالة طرابلس الغرب قبل تأسيس حكم الأسرة القرمانلية .

بدأ العهد العثماني في طرابلس الغرب بولاية مراد آغا 1551 ، الذي شهد عهده تحسناً ملحوظاً في أحوال البلاد ، وقد أكمل درغوت باشا الذي تولى بعده (1551-1553) ما بدأه مراد آغا من إصلاح، وبعد وفاة درغوت باشا دخلت البلاد في سلسة من الاضطرابات والفوضى ، وأصبح الولاة الذين جاءوا بعده أداة طيعة في يد الجند الانكشارية حتى أفقدوهم هيبتهم وجردوهم من سلطتهم .[1]

ومع بداية عام 1603 لم يعد الولاة يرسلون إلى طرابلس من استانبول ، بل أصبحوا ينتخبون محلياً بقوانين يحددها ديوان الجند ، وهو نظام وضعه الجند الانكشارية

ورياس البحرية ، وسمى الفائز بالحكم باسم (الداي) والفترة المذكورة بعهد الدايات [2]، وكان الخلاف يحتدم على أشده في أغلب فترة حكم الدايات بين صفوة الانكشارية ورياس البحرية ، وفي بعض الأحيان يتدخل السلطان العثماني في فض النزاع وفرض الوالي الذي يختاره ، وأحياناً يحصل الدايات المنتخبون محلياً على اعترافه، ويمنحهم لقب الباشوية [3].

يقوم الباشاوات بالتودد للسلطان العثماني بإغداقه بالهدايا الثمينة ولحاشيته ووزرائه لضمان بقائهم في الحكم ، وكان جزء كبير من النفقات التي صرفت في تلك الهدايا تأتي من الضرائب الباهظة المفروضة على السكان ، وكثيراً ما اصطدم الدايات بأهل البلاد الثائرين والساخطين على ظلمهم ، وقد سير العديد منهم حملات لقمع تلك الثورات والانتفاضات في مناطق مختلفة من البلاد [4].

وخلال العشر سنوات الأخيرة من عهد الدايات والتي حكم فيها خليل باشا أطول فترة (1703-1709) استمرت الاضطرابات والفوضى في البلاد ، وشن الأخير العديد من الحملات ضد السكان لإجبارهم على دفع الضرائب ، وقد منحه السلطان العثماني أحمد الثالث عام 1706 لقب الباشا [5]، وقد ألبت عليه شدته وجشعه الكبير في جمع الأموال عناصر القولوغلية في مناطق الساحل والمنشية فدبروا له محاولة اغتيال عام 1709 ولكنها باءت بالفشل ، وقام بإعدام مدبروها وزادت بذلك الأوضاع سوءاً في البلاد [6].

وفي نفس العام توجه خليل باشا بحملة إلى دواخل البلاد لمعاقبة عبدالله الصنهاجي الذي كان يستولى بصورة مستمرة على القوافل التي تخرج من فزان نحو طرابلس ، فاستغل إبراهيم الإياليلي وهو أحد رياس البحرية غياب خليل باشا ، وجمع انصاره وطلب من الأهالي الوقوف ضد خليل باشا واستطاع إبراهيم الإياليلي دخول القلعة وأعلن نفسه دايا على البلاد ، وما أن علم خليل باشا حتى توجه بقواته وتمركز بالمنشية ولكنه لم يجد أي تأييد من سكانها ، فاضطر إلى التعاون مع عبدالله الصنهاجي واتفق معه بأن يستوليا معاً على السلطة ، غير أن إبراهيم الإياليلي استطاع القضاء على الصنهاجي ، أما خليل باشا فقد فر إلى استانبول على أمل العودة من جديد إلى طرابلس بتأييد من السلطان العثماني [7].

بدأ إبراهيم داي بالتخلص من النفوذ التركي وجعل حاشيته من العناصر المحلية ، وقد انتابه الشك من قائد الجيش محمد قارة فقام بعزله من منصبه وعين بدلاً منه صهره محمد حسنين المعروف بمحمد الجن وهو قولوغلي من رؤساء البحرية

المشهورين ، ويحضى بشعبية كبيرة لدى السكان لشجاعته وجرأته ، غير أن محمد الجن ، عندما وجد نفسه قادراً على إزاحة إبراهيم داي عن الحكم قام بحصاره لمدة 25 يوم ، ففر إبراهيم داي إلى الاسكندرية ، واستحوذ محمد الجن على السلطة [8].

وحتى لا يلاقي محمد الجن مصير سابقيه قرر أن يسيطر بنفسه على أعنة قيادة الجيش ، ويتولى حكم البلاد فعلياً ويكون دايا من الناحية الشكلية دون الاعتماد على الجيش ، وبالتالي عيّن إسماعيل خوجه دايا وكان أداة طيعة في يده ، ثم استبدله بالحاج رجب في 19 سبتمبر 1711 ، ولكنه لم يلبث أن أعلن نفسه دايا على البلاد في شهر يونيو من نفس العام [9]، وجعل محمود أبوميس قائداً للجيش ، وقد سير الحكم من بيته بالمنشية لتوجسه خيفة من المناؤين له ، وبعد أن تخلص منهم انتقل لإدارة الحكم من القلعة ، فقتل في نفس اليوم الذي دخل فيه إلى القلعة على يد محمود أبي أميس ، ونادى الأخير بنفسه حاكماً على البلاد ، ولآن الأهالي كانوا قد سأموا من ظلم محمد الجن وقسوته فقد رحبوا بالفائز ، وأخفى القولوغلية استيائهم والتزموا الصمت في انتظار ما ستؤول له الأمور [10]، باستثناء أحمد القرمانلي وهو صهر محمد الجن الذي شجب ما قام به أبي أميس ، وكان الأخير يخشاه كثيراً فدبر له مؤامرة للتخلص منه ، ولكن الأمور انقلبت ضده وانفسح المجال لأحمد القرمانلي للوصول إلى الحكم [11].

2- المحور الثاني - تأسيس أحمد القرمانلي لحكم الأسرة القرمانلية في طرابلس .

- أصل القرمانليون ومجيئهم إلى طرابلس :

تعود تسمية القرمانليون إلى مدينة قرمان بالأناضول ، وقد جاء جدهم الأكبر مصطفى القرمانلي إلى طرابلس في عهد درغون باشا عام 1553 ، وتزوج من إحدى النساء المحليات ، ونتج عن زواج القرمانليون بالمحليات فئة جديدة سميت بالقولوغلية ، وصارت عنصراً فعالاً له وزنه القوي في الحياة العامة في المجتمع الطرابلسي [12] .

تولى يوسف والد أحمد القرمانلي قائداً للقولوغلية وتدرج العديد من المناصب الهامة منها قائداً لفرقة الجند الخاصة بطرابلس والمنشية ، وإمارة الفرسان القولوغلية ، حتى وصل منصب آغا لجميع فرسان الساحل والمنشية ، لبسالته وشجاعته ، وقد سار ابنه أحمد على خطى والده حيث التحق بالجيش وتدرج في المناصب ، حتى صار قائداً للمنشية وأحد أعيانها وحظي بشعبية كبيرة لدى الأهالي ، لقوة شخصيته وكفاءته وقدرته على تيسير الأمور [13].

- وصول أحمد القرمانلي لحكم طرابلس :

كان أبي أميس لا يستطيع معاداة ومواجهة أحمد القرمانلي علنياً لقوته وكفاءاته وللشعبية الكبيرة التي يتمتع بها فدبر خطة للتخلص منه فأرسله إلى غريان لحمل رسالة وأوعز لجنده فيها بقتله حال وصوله للمنطقة ، فانتاب أحمد القرمانلي شك في نوايا أبي أميس ففتح الرسالة وهو في طريقه إلى غريان فوجد فيها أمراً بقتله ، فاشتد نقمة على أبي أميس وقفل راجعاً إلى طرابلس وقد راسل أعضاء الديوان فطلبوا منه المجيء لمبايعته واتفق جميع رؤساء الديوان وكافة الجنود وسكان الساحل والمنشية على عزل أبوميس وتوليه أحمد القرمانلي حاكماً على البلاد يوم 28 يوليو 1711 [14].

استطاع أحمد القرمانلي بمساعدة سكان الساحل والمنشية محاصرة أبوميس داخل مدينة طرابلس وكان له مناصرين ومؤيدين فيها ، وتهيأ أبي أميس للحرب غير أنه فشل حيث قبض عليه أهل المدينة بواسطة حسونه الشريف وراسلوا أحمد القرمانلي بالدخول إلى طرابلس وفتحوا أبوابها أمامه مساء يوم 28 يوليو ، فدخلها وسط تأييد شعبي كبير[15]، وقد تولى الحكم في عمر يقرب من الخامسة والعشرين عاماً ، وقد جمع في شخصيته بين رقة الأخلاق وحسن المعاملة وبين الإرادة القوية والحزم بحيث لا يعرف التردد [16].

وهكذا استطاع أحمد القرمانلي أن يصل إلى سدة الحكم وهو شاباً قد جمع في شخصيته بين اللين والشدة وعرف كيف يتعامل مع المواقف ، فكان مؤهلاً للحكم عن غيره ، وقد اتضح ذلك أيضاً من خلال ما ذكره إبن غلبون في حديثه عن محاولة أبي أميس التخلص من أحمد القرمانلي بأن أبي أميس رأى في أحمد القرمانلي : " ... من النباهة والصلاحة للملك دونه . فاتفق أهل البلد على صلاحيته فلما قدم ... بايعه أهل البلدين : الساحل والمنشية ولم يتخلف عن بيعته أحد لما جبل عليه من الرقة واللطف ..." [17] .

وبالتالي وصل أحمد القرمانلي إلى حكم طرابلس بالانتخاب المحلي ، كخطوة أولى انطلق منها للحصول على اعتراف السلطان العثماني بحكمه لكي يضمن له البقاء والاستمرار ، غير أن السلطان العثماني لم يعترف منذ البداية بحكم أحمد القرمانلي ، بل حاول أن يمسك بزمام الأمور بإرسال ولاة ينوبون عنه في حكم طرابلس من استانبول .

3- المحور الثالث - إرساء أحمد القرمانلي لدعائم حكمه ويشمل :

- الحصول على اعتراف السلطان العثماني .

ما أن تولى أحمد القرمانلي أمور البلاد حتى عاد خليل باشا والذي كان والياً سابقاً إلى طرابلس مع بداية شهر أغسطس عام 1712 موفداً من السلطان العثماني لتولي الحكم ، وكان خليل باشا قد أوهم السلطان العثماني بتأييد سكان طرابلس له ، وبأنهم ينتظرون عودته للخروج بالبلاد إلى الاستقرار ، فانطلق على رأس حملة بحرية إلى طرابلس وأمر السلطان العثماني أن ترافقه حملة أخرى رست في ميناء زوارة تحمل أمراً لأحمد القرمانلي باستقبال خليل باشا [18] ، وتقدم الأخير بمقاتليه البالغ عددهم 800 مقاتل نحو طرابلس غير أنه منع من الدخول فتوجه نحو زوارة ونزل بها وتحالفت معه جموع من قبيلة المحاميد على رأسهم الشيخ أحمد بن أنوير ، فوجه له أحمد القرمانلي جيشاً ودارت بين الطرفين معارك طاحنة قتل فيها خليل باشا وفر باقي عسكره باسطولهم إلى الاستانة [19].

يتعين القول أن تصدي أحمد القرمانلي لأول خطر هدد حكمه من خارج البلاد يعد تجرؤاً على سلطة الباب العالي بعصيان أوامره ، في الوقت الذي كان فيه أحمد القرمانلي يحرص على إرضاء السلطان للاعتراف بحكمه ، وبالتالي استغل أحمد القرمانلي كراهية السكان لخليل باشا وجعلها سبباً في مقتله ، وأرسل وفداً للسلطان العثماني برر فيه مقتل خليل باشا بأنه وقع فريسة لنقمة السكان ، وحمّل الوفد بهدايا ثمينة تودداً لاعتراف السلطان بحكمه ، كما قدم الوفد عريضة موقعة من شرائح مختلفة من السكان يطلبون فيها من السلطان العثماني تعيين أحمد القرمانلي والياً على البلاد ، وقد أقام الأخير احتفالات كبيرة في طرابلس ابتهاجاً بالنصر الذي حققه الجيش العثماني على الجيش الروسي في معركة بروث [20].

وعلى ما يبدوا أن السلطان العثماني لم يقتنع بتبرير أحمد القرمانلي حول مقتل خليل باشا فقد أرسل إلى طرابلس محمد باشا المعروف بجانم خوجة في 28 يوليو 1712 للتحقيق في مقتل خليل باشا ، وقد تظاهر أحمد القرمانلي بإذعانه للأمر واستقبله في القلعة وبالغ في إكرامه ، غير أن جانم خوجة لم يتمكن من مباشرة التحقيقات أو الوقوف على أي حقيقة ، وقد منع أحمد القرمانلي الناس من الاجتماع به ، ووزع عنه جنده وحجز سفنه الراسية في الميناء ؛ حتى لا يصل أي خبر إلى السلطان العثماني ووضعه رهن المراقبة والحراسة [21].

علم عدد من المناوئين لأحمد القرمانلي ما حدث لجانم خوجة فبدأوا بإحداث اضطرابات مسلحة لزعزعة الاستقرار ، وانظم لهم عدد من الأنصار وبعض القبائل ، وتقدمت مجموعة من سكان الدواخل نحو طرابلس للتنديد بسوء أحوالهم وقد رددوا صيحات تدعوا للعصيان ، وهتافات تنادي لصالح جانم خوجة ، وانضم لهم عدد من الأتراك الذين لازالوا في طرابلس ، غير أن أحمد القرمانلي استطاع القضاء عليهم ، وأعدم رجال جانم خوجة ، وأبعد الأخير خارج البلاد . وبعدها مباشرة تصدى لبشير باشا الذي أرسله السلطان العثماني ليحل محل جانم خوجة ومنعه من النزول إلى البر [22] .

وبالتالي لم يجد السلطان العثماني أمامه سوى الاعتراف بحكم أحمد القرمانلي وتعينه والياً على طرابلس عام 1712 ، ومنحه لقب (لبكلريكي) أي أمير الأمراء [23]، وقد أرسل السلطان بارجتين بأطقمهما ومعداتهما وعلى متن كل واحدة أربعين مدفعاً وكان وصولهما في الوقت المناسب خاصة بعد أن تضاءلت القوات البحرية التي تحت تصرف أحمد القرمانلي وذلك لسوء حالة السفن وفقدان القدرة لممارسة نشاطها [24] .

لقد حرص أحمد باشا على الاعتراف بسلطة الدولة العثمانية وإن كانت أسمية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية وأن سلطانها يمتل خليفة المسلمين فجعل اسم السلطان العثماني يذكر في خطب الجمعة ، وكتب اسمه على العملات التي تسك في طرابلس [25].

ومما لا شك فيه أن أحمد باشا كان يدرك أنه بدون اعتراف السلطان العثماني بحكمه ومعاونة الدولة العثمانية لن يستطيع أن يضمن لحكمه البقاء والاستمرار ، كما لم يتسن له إقامة علاقات خارجية مع الدول الأوروبية الكبرى ، وبالتالي سعى ومنذ البداية لاستخلاص فرمان التولية من السلطان العثماني .

ـ القضاء على الثورات والاضطرابات في البلاد .

بعد أن حصل أحمد القرمانلي على اعتراف السلطان العثماني بدأ في توطيد دائم حكمه داخلياً بالقضاء على الثورات والاضطرابات في البلاد ، ولكن هداياه النفيسة التي كان قد أرسل بها إلى الاستانة استنفذت أمواله في الوقت الذي كان فيه بحاجة إلى الأموال لتغطية نفقات حملاته ، وكان الموسم حينها ينذر بالقحط والمجاعة في كل البلاد ، وفي أثناء ذلك وصلت يوم 12 سبتمبر 1712 ثلاث سفن هولندية يقودها الأميرال بترسن (Perrsen) مكلف من حكومة بلاده بتجديد معاهدة قديمة كانت قد عقدت بين حكومتي طرابلس وهولندا عام 1683 ، وكانت محملة بالكثير من الهدايا الثمينة ، وأربعة مدافع

من البرونز وخمسمائة قنطار من البارود وغيرها ، كما وصلت سفن من جنوة أهدى قباطنتها لأحمد القرمانلي أربعة آلاف قطعة نقدية من الذهب وكمية كبيرة من العتاد الحربي . وبالتالي كان وصول تلك السفن في الوقت المناسب [26].

وفي صيف 1713 توجه أحمد القرمانلي إلى تاجوراء بعد أن انتفض سكانها مع من حالفهم من سكان ترهونة وقبائل أخرى ، وقد استطاع السيطرة عليهم وتغريمهم أموالاً كثيرة وقد نصب أخوه من أمه شعبان بك عاملاً عليها ، فقام أهالي تاجوراء مع من تحالف معهم سابقاً بمحاصرة شعبان بك في القلعة ، وقد دافع الأخير حتى وصله الدعم من أحمد باشا بجيش من سكان الساحل والمنشية ، استطاع بواسطته اخضاع تاجوراء ومعاقبة سكانها بفرض ضرائب باهضة عليهم حتى لا يفكرون في الخروج عن سلطة الباشا من جديد ، وخرب جيش الباشا المنطقة وكان جل أهلها من القولوغلية [27] .

وفي نهاية 1713 قرر حسن الكرغلي وهو من محاربي مسلاته أخذ حق أهالي تاجوراء بالتحالف مع محمد بن منصور الترهوني الملقب بسوق الذئب ، وعندما أدرك الباشا بأن الأمور تسير في غير صالحه خرج بنفسه لقتال حسن الكرغلي واتباعه في جبال ترهونة ، وتمكن من القضاء عليهم وتشتيتهم وإحراق نجوعهم وإرغامهم للجوء إلى الجبال [28] .

وفي سنة 1715 اندلعت ثورة في الإقليم الشرقي ببرقة يقودها علي بن عبد النبي الصنهاجي المعروف بأبوقيلة ،وقد التف حوله أنصار كثيرون ، ولقب نفسه بالمهدي المنتظر ، وأخذ ينهب ويستولي على ممتلكات الأهالي ، كما استولى على قافلة تحمل خراج سكان أوجلة كانت متوجهة إلى طرابلس ، وقد عسكر في منطقة الزعفران بسرت [29] ، فخرج له أحمد باشا على رأس جيش لاعتراضه قبل وصوله إلى طرابلس ، وحصل اللقاء في منطقة سرت ، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين انهزم فيها أبوقيلة هزيمة نكراء ، وعاد أحمد باشا بجيشه منتصراً إلى طرابلس ومحملاً بغنائم كثيرة وقد استقبل استقبالاً كبيراً ، وكان ذلك في مستهل عام 1716 [30].

لقد استهلكت الجهود الكبيرة في إخماد الاضطرابات والثورات أموالاً طائلة حتى أصبحت خزينة الإيالة شبه خاوية ، فقرر الباشا التوجه لإقليم فزان لفك الأزمة بتحصيل الضرائب ، وكان الناصر حاكم فزان قد امتنع عن دفعها [31] ، فانطلق الباشا يوم 20 نوفمبر 1717 على رأس جيوشه نحو فزان ، ولما وصل إلى مرزق حاصرها لمدة عشرة أيام ، ولكنه قرر الرجوع إلى طرابلس لإندلاع بعض الاضرابات فيها ، وقد أرسل له حاكم فزان مبعوثون أكدوا له الولاء ، وطلبوا منه

قبول الضرائب ، فقبلها منهم [32]، وقد ذكر القنصل الفرنسي بطرابلس إكسبلي (Expilly) أن الأموال التي عاد بها الباشا من فزان إلى طرابلس كانت مبلغ كبير جداً [33].

بعد الأحداث السابقة شعر أحمد القرمانلي بتوطيد دعائم عرشه فبدأ بالتوجه لتنظيم أمور البلاد وعلاقاته بالدول الأوروبية عن طريق قناصلها ، وخاض فيما بعد معارك أخرى في مناطق متفرقة من البلاد ، لفرض الاستقرار والهدوء [34].

يتعين القول أن أحمد القرمانلي قد استطاع الانتهاء من مرحلة إرساء دعائم حكمه بانتهاء معاركه الكبرى ضد الثورات التي اندلعت في مناطق متناثرة في البلاد في السنوات الأولى من حكمه ، أما بقية المعارك التي خاضها فيما بعد فهي معارك هيمنة ونفوذ ضد القبائل المتمردة لأسبابها كالامتناع عن دفع الضرائب أو الاحتجاج عن قضية ما .

وبالتالي استطاع أحمد القرمانلي أن يصل إلى حكم طرابلس ويثبت دعائمه وهو في عمر الشباب ، وفي الوقت الذي توقع فيه قناصل الدول الأوروبية في طرابلس آنذاك بقرب نهاية هذا الشاب الطموح فأن فنصل فرنسا بوللارد (Bouleard) توقع غير ذلك ، ولاحظ أن أحمد القرمانلي اعتمد في الوصول إلى الحكم على دعامة قوية وهم القولوغلية في الساحل والمنشية الذين ساندوه من البداية ، وأعانوه على معارضيه [35] ، وقد أشار ابن غلبون كما رأينا سابقاً إلى دعم أهالي الساحل والمنشية لأحمد القرمانلي بمبايعته بالإجماع .

وتماشياً مع ما تم ذكره فإن أهالي الساحل والمنشية قد لعبوا دور أساسياً في دعم أحمد القرمانلي في الوصل إلى الحكم كما جعلوا على عاتقه بكل ما يحتاجه من جيوش قضى بواسطتها على كل تشكيلات الانكشارية ، وأخمد بها كل الاضطرابات والثورات في البلاد ، واستمروا طيلة العهد القرمانلي أقوى دعامة للأسرة القرمانلية ، وكانوا معفيين من كل الإلتزامات الضريبية ، مقابل تزويد الباشا القرمانلي بما يحتاجه من جيوش . وقد تكوّن الجيش من طوائف القولوغلية والعرب ، ويصل عدده في أغلب الأحيان إلى 1500 فارس و600 من المشاه ويزيد عن ذلك عند الضرورة [36] .

ومما لا شك فيه أن الباشا قد أنفق على جيوشه أموالاً طائلة باعتبارها ركيزة أساسية لنظامه وبالتالي سعى منذ توليه الحكم على إيجاد مصادر للإنفاق في مقدمتها العوائد المالية الكبيرة التي يجنيها الاسطول الطرابلسي في عملياته ضد سفن النصارى ، التي كانت تجوب في عرض البحر الأبيض المتوسط . ولأن الباشا كان يدرك أهمية

الاسطول الطرابلسي كمورد أساسي يضخ لخزينة الإيالة أموالاً طائلة فقد أعاد أمجاده وأولاه عناية كبيرة كما أحضر عدد من الفنيين الأجانب المختصين في الشؤون البحرية وبناء السفن ، لمساعدة البحارة المحليين لكسب الخبرة في هذا المجال وما لبث أن زاد عدد سفن أسطوله حتى صارت قوة ضاربة فرضت سيطرتها على العمليات البحرية في عرض البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح الأسطول البحري الطرابلسي يملي في شروطه على كل السفن المارة بالسواحل الطرابلسية بدفع مبالغ باهضة ، مقابل السماح لها بالمرور من السواحل الطرابلسية وضمان سلامتها ، فضمن الباشا مورداً كبيراً لتغطية نفقات حملاته ، بالإضافة إلى موارد أخرى كالضرائب ، وتجارة القوافل التي وفر لها الأمن عبر الصحراء ، وساهم كل ذلك إلى تدعيم سلطته داخل البلاد [37].

وتأسيساً لما تم ذكره وعلى ما ذكره ابن غلبون بقوله : " وهو الذي أسس قوانين الدولة وأحيا رسوماً دائرة من قواعدها ..."[38] أن أحمد القرمانلي استطاع تأسيس القوانين وتحصيل الرسوم الجبائية من ذات مصادرها التي كانت تؤخذ منها ، كالجباية عن التجارة ، وحقوق المرور على الأراضي والمياه الأقليمية ، والحماية من القرصنة ، لتنمية ميزانية البلاد ، تمتيناً لركنيها الإداري والعسكري .

الخاتمة :

من خلال ما تم تناوله في البحث يتضح الآتي :

1- كان لفترة تأسيس حكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب وإرساء دعائمها ظروفها، وتحضيراتها، ومعاركها ، وقد تحرك خلالها أحمد القرمانلي في ظروف جد صعبة حتى أن بعض قناصل الدول الأوربية في طرابلس آنذاك توقعوا قرب نهايته ، ولكنه عرف كيف يستغل كل الظروف لصالحه ، ما يؤكد أن تكوينه العسكري واضح التأثير على شخصيته القوية التي اتصفت بالحزم والصرامة ، مع حنكة سياسية حيث وازن بين اللين والشدة بحسب ما يقتضيه الموقف.

2- تمكن أحمد القرمانلي بذكائه وفطنته إكتشاف محاولة اغتياله ، فاستغلها لصالحه بكسب أعضاء الديوان لانتخابه ، وبلطافته ولينه عند الاقتضاء ، وقدرته على تسيير الأمور، كسب الدعم المحلي خاصة في الساحل والمنشية .

3- استطاع أحمد القرمانلي كسب الوقت لصالحه بتحركه السريع حتى لا يعطي فرصة لمناوئيه بالقضاء عليه ، فقد استعمل الحيلة للتخلص من بقايا جنود الانكشارية ، أما مع مبعوثي السلطان العثماني فقد تصدى لخليل باشا بالمواجهة ،

وتعامل مع جانم خوجة بالدبلوماسية والحذر ، ومع محمد باشا بالتصدي لدخوله إلى طرابلس ، فكان تصرفه مع السلطان العثماني من خلال مبعوثيه بحسب ما يقتضيه الموقف وتودد إليه بالهدايا وغيرها للاعتراف بحكمه ، وتعامل مع الثورات والاضطرابات بالقوة ، وقاد بنفسه عدداً من الحملات ، فلما كادت خزينة الإيالة التي ينفق من خلالها على حملاته وأعوانه تنضب ، انطلق بجيوشه لتحصيل الضرائب ، كما أعاد تنشيط مصادر الإنفاق التي كانت تعتمد عليها خزينة الإيالة، فأصبحت تضخ عليه أموالاً طائلة ، وقد استطاع توحيد أقاليم البلاد الثلاثة (طرابلس-برقة-فزان) هذه القرارات والمواقف والتحركات مكنته من تولى الحكم عن جدارة ، وبقي فيه لوفاته ، وورثه لأبنائه وسلالته لقرن وربع من الزمن .

الهوامـــــــــش :

1. ابن غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من الأخبار ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004 ص 162-175 .
2. نيكولاي إيلتش بروشين ، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين (ت) عماد حاتم ، ط 2، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،2001 ، ص 59 .
3. أتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 (ت) خليفة التلسي ، ط2 ، الدار العربية للكتاب (ليبيا-تونس) ،1991 ، ص 258 .
4. المرجع نفسه ، ص281 .
5. بروشين ، مرجع سابق ، ص 81 .
6. رودلفو ميكاكي ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي (ت) طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس (د-ت) ، ص 7 .
7. بروشين ، مرجع سابق ، ص 83 .
8. المرجع نفسه ، ص 83 .
9. المرجع نفسه ، ص 83 .
10. رودلفو ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 9 – 10 .
11. شارل فيرو الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي (ت) محمد عبد الكريم الوافي ، ط 4 ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1998 ، ص 264 .
12. بروشين ، مرجع سابق ، 104-105 .
13. المرجع نفسه ص 105 .
14. ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 239-240-245 .
15. المصدر نفسه ، 245 .
16. رودلفو ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 12 .
17. ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 40-281-282 .
18. شارل فيرو ، مرجع سابق ، ص 266 .
19. أحمد النائب الأنصاري ، المنهل الغرب في تاريخ طرابلس الغرب ،ج 2، دار الفرجاني ، طرابلس ، ص 285 .
20. رودلفو ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 16.
21. المرجع نفسه ، ص 16 .
22. المرجع نفسه ، ص 17-18 .

23. عمر بن اسماعيل ، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835 ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ،1996 ، ص 37 .
24. رودلفو ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 19 .
25. بروشين ، مرجع سابق ، ص 115 .
26. شارل فيرو ، مرجع سابق ، ص 274-275 .
27. ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 283 .
28. المصدر نفسه ، ص 284 .
29. أحمد التائب الأنصاري ، مصدر سابق ، ص 287 .
30. ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 235 .
31. جان كلود زليتنر ، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط افريقيا 1500-1795 (ت) جاد الله عزوز الطلحي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، مصراته ،2001 ، ص 351 .
32. ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 286 .
33. جان كلود ، مرجع سابق ، ص 351 .
34. رودلفو ميكاكي ، مرجع سابق ، ص 21 وما بعدها .
35. المرجع نفسه ، ص 13 .
36. المرجع نفسه ، ص 28 .
37. بروشين ، مرجع سابق ، ص 114-115 .
38. ابن غلبون ، مصدر سابق ، ص 240 .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر .

1. ابن غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من الأخبار ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2004 .
2. أحمد النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ج 2 ، دار الفرجاني ، طرابلس ، (د-ت).

ثانياً : المراجع .

1. المراجع العربية .

- عمر بن إسماعيل ، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835 ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس .

2. المراجع المعربة .

- بروشين ، نيكولاي إليتش ، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع العشرين (ت) ، عماد حاتم ، ط 2 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2001 .
- روسي ، أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911 (ت) خليفة التليسي ، ط2 ، الدار العربية للكتاب (ليبيا – تونس) ، 1991 .
- زليتنر ، جان كلودا ، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط افريقيا 1500-1795 (ت) جاد الله عزوز الطلحي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام ، مصراته ،2001 .
- فيرو ، شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي (ت) محمد عبد الكريم الوافي ، ط 4، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1998 .
- ميكاكي ، رودلفو ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي (ت) طه فوزي ، دار الفرجاني ، طرابلس (د-ت).